أهالـــــي لـــــواء العمـــــارة وثورة عـــام ١٩٢٠
دراســـة في ضوء نظـــرية التحـــدي والاستجابة

م. م محمد حسين زبون الساعدي أ. م. د عبد الله كاظم عبد
جامعة البصرة - كلية التربية (ميسان)

المقدمة:

لم تكن ثورة عام ١٩٢٠ حدثاً عابراً في تاريخ العراق الحديث، بل إنها تركـــت بـــصمات واضـــحة علية، غيرت ما خططت له بريطانيا بشكل يكاد يكون جذرياً ودفعت الأخيرة إلى إعـــادة حـــساباتها بـــشان العراق. لذا اهتم الكثير من الباحثين على مختلف اتجاهاتهم الفكرية والأكاديمية، وتناولهـــا " أي الثـــورة " بدراسات عدة ومن جوانبها كافة غير أن هذا الأمر اختلف من باحث إلى آخر، وفـــسرها علـــى طبيعـــة توجهاته، إلا أن الملاحظة الجديرة بالاهتمام أن اغلب هذه الدراسات قد تجردت مـــن المنظـــور الفلـــسفي التاريخي الذي يتم من خلاله وضع خصوصية الثورة، ولكل منطقة من مناطق العراق، وعلى الـــرغم مـــن وحدة جسد الخارطة السياسية للعراق، ألا إن طبيعة مجتمعه تختلف شيئاً ما من منطقة لأخرى تبعا لظروف بيئية واجتماعية ومناخية جعلت البصمات البريطانية تختلف هي الأخرى بهدف أن تكون سيطرة بريطانيـــة أكثر قوه لترسيخ مصالحها المكتسبة فيها. (١)

وقد كان لذلك الاختلاف – وهو أمر طبيعي – الأثر الواضح في تباين استجابة بعض مناطق ســـكان العراق للثورة وضعف مشاركتهم فيها. (٢)

وانطلاقاً من مبدأ ملء ثغرات الموضوع بطريقه علمية موضوعية معتمدة على النظريـــة الفلـــسفية التاريخية المعروفة بـــ (نظرية التحدي والاستجابة) لواضعها المـــؤرخ والفيلـــسوف البريطـــاني (ارنولـــد توينبي) (٣) ومن خلال هذه الدراسة تم تسليط الضوء وبطريقة المقارنة علـــى الأســـباب التـــي أدت إلـــى ضعف ومن ثم أفول مشاركة سكان لواء العمارة في ثورة العشرين بطريقة كتلك التي كان عليهـــا ســـكان منطقة الفرات الأوسط من العراق.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المبحث الأول: مفهوم نظرية التحدي والاستجابة ... نظرة موضوعية للاحتلال

تعد نظرية التحدي والاستجابة من أوسع نظريات فلسفة التاريخ رواجاً في تفسير الإحداث التاريخية والوقوف عندها بشكل موضوعي، إذ أنها في الغالب تعتمد طريقة المقارنة والشمولية بنوعيها الأفقي والعمودي (٤) في إيجاد نتائج صحيحة أو الوصول للأخيرة إلى أعلى درجات الموضوعية في اقل تقدير. والنظرية في إيضاح مبسط هي بمثابة الفعل ورد الفعل (٥) ومن هنا ستعطي الدراسة صورة من شأنها إن توضح علاقة النظرية بالموضوع، وفي الوقت ذاته تكون وسيلة أكثر رصانة وجلاء لمعرفة مفهوم النظرية.

إن وحدة الدراسة التاريخية هي الوحدة المتكاملة للواقعة أو الحدث التاريخي، إذ لا يمكن دراسة صدى الثورة في لواء العمارة دون أن نسلط الضوء على بقية مدن العراق ولاسيما منطقة الفرات الأوسط بوصفها النموذج الحي الذي شهد شرارة الثورة ومن ثم انتشارها في معظم مناطق العراق فيما بعد (٦) والملاحظ أن نظرية التحدي والاستجابة تعتمد على الأسباب المركبة، مبتعدة عن الدوافع الأحادية والمسببات التي يستجيب لها الطرف المقابل، معتمدة في ذلك على أسلوب المقارنة والاستنباط وإعطاء النتائج لذلك سواء تشابهت أو تباينت دون تركها، وذلك من خلال الإجابة على عدد من الأسئلة المطروحة ومنها:

إلى أي مدى وصل ضغط التحدي ؟

ما هي نتائج ذلك التحدي ؟

هل اختلفت تلك النتائج ؟

ما هو وجه الاختلاف ؟ ولماذا ؟

هل أن الاستجابة لذلك التحدي متوازنة ؟ ولماذا ؟

ما هو سبب تفوق التحدي على الاستجابة ؟ (٧)

وما هي النتائج التي تمخضت عن ذلك ؟

أن دراسة دور أهالي العمارة في ثورة العشرين سوف تكون موضوعية أذا أخضعت لتلك الأسئلة، وضمن أطار الإحداث التي شملت معظم الويه العراق، وبخاصة وان طبيعة المجتمع العشائري في العراق متشابهة إلى حد ما في معظم مناطق العراق العشائرية، ومنها على سبيل المثال لا الحصر مناطق الفرات الأوسط ومناطق دجلة (٨).

وتؤكد النظرية على أن تدخل العدوان الخارجي لا يؤدي إلى مجرد الاستجابة بطرد الأجنبي المحتل أو التخلص منه بالقوة الضاغطة، بل قد يدفع إلى الانتقام والقصاص (٩) وسنلاحظ هذا الأمر في سطور

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لاحقة. غير أن هذا الأمر سيكون بصورة مختلفة، إذ إننا نلاحظ الصراع الدائر ليس بين المتحدي والمستجيبين، بل بين المستجيبين أنفسهم، وذلك بفعل المتحدي البريطاني الذي أرسى سياسته العشائرية بصورة تضمن له فرصة الهيمنة العشائرية، وبقاء مناطق دجلة وفيها لواء العمارة بعيدة عن ملابسات الثورة (١٠).

والسؤال الذي يجب الإجابة عنه، هل يصل التحدي إلى ما لا نهاية، بحيث كلما اشتد التحدي عظمت الاستجابة ؟ وهل أن كل تحد يثير استجابة ناجحة ؟ (١١)

إن لعلاقة الاستجابة بالتحدي صور ثلاث:

١- إن قصور فعل المتحدي يجعل الطرف المتلقي عاجزاً تماماً عن تحقيق الاستجابة الناجحة وهذا ما نلاحظه في السياسة البريطانية التي انتهجها المحتلون في المناطق العشائرية والحضرية، إذ مارسوا شتى أنواع القسوة والتعسف والاضطهاد ضد العراقيين. (١٢)
٢- أن يحطم التحدي البالغ الشدة - وبأساليب متعددة على سبيل المثال لا الحصر سياسة فرق تسد - روح الطرف الأخر وقد رسمت هذه الصورة من التحدي على الوضع السياسي والاجتماعي لدى سكان لواء العمارة الأمر الذي جعل دورهم يضمحل في ثورة العشرين دوناً عن باقي ألوية العراق الأخرى التي كانت تتوفر فيها دواعي الاستجابة الناجحة بكل مقوماتها الفعالة والتي يمكن إن نلخصها بالاتي:
   أ- القرب من المدن المقدسة مثل كربلاء والنجف والكاظمية.
   ب- الثقل الثقافي والسياسي الذي تتمتع به تلك المناطق منذ حقبه ليست بالقصيرة على الضد تماما من مناطق حوض دجلة ومنها لواء العمارة. (١٣)
٣- إن يصل التحدي إلى درجة متوازنة بحيث يستطيع من خلالها الطرف المستجيب أن يستفيد من طاقاته المختلفة سواء أكانت فكرية أم سياسية أم دينية أم قبلية والى ما شابه ذلك من أمور أخرى.(١٤)

المبحث الثاني: بداية التحديات البريطانية المباشرة واستجابة العراقيين لها ١٩١٤-١٩١٨

عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى وأعلنت الدولة العثمانية انحيازها التام إلى جانب ألمانيا في الحرب في ٥ تشرين الثاني ١٩١٤ تمكنت بريطانيا من احتلال البصرة عسكريا في ٢٢ تشرين الثاني من العام نفسه (١٥).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وفي ضوء تلك التطورات حاول العثمانيون استغلال الجانب الديني من خلال تقربهم إلى رجال الدين وإثارة عواطفهم لتحشيد الرأي العام العراقي إلى جانبهم والذي كان متعاطفاً مع العثمانيين يدفعه في ذلك العاطفة الدنية التي حاول العثمانيون استغلالها ليقف العراقيون بوجه المحتل البريطاني وقد أثمر هذا البيان إصدار اغلب علماء الدين في العراق فتاوى نصت على وجوب مشاركة العراقيين في حرب مقدسة (جهاد) ضد جيش الاحتلال البريطاني (١٦).

ولم يكتف علماء الدين بإصدار الفتاوى فحسب بل شاركوا شخصياً في القتال ضد قوات الاحتلال البريطاني وهنا لابد من الإشارة إلى بعضهم لاسيما السيد محمد سعيد الحبوبي إذ قاد هذا المجاهد مجاميع من العشائر العراقية وتوجه بها إلى جبهة القتال في الشعيبة. (١٧)

كما قام بالفعل ذاته السيد مهدي الحيدري إذ تمكن ومعه عدد من المجاهدين من دحر القوات البريطانية في معركة الروطة في جبهة العمارة. (١٨)

كان هدف العراقيين المنضمين إلى الجيش العثماني هو مقاتلة الجيش البريطاني (الكفار) واستعادة مدينة البصرة من أيديهم دارت رحى معارك في نيسان ١٩١٥ بين الطرفين من اجل استعادة المناطق المحصنة من الانكليز في الشعيبة وكان للمجاهدين دوراً كبيراً فيها ولاسيما في جبهة (صخريجة) شمال منطقة (عران). (١٩)

هذا بالنسبة إلى الموقف العام لاستجابة الشعب العراقي تجاه التحديات البريطانية، والتي مثلت بالحقيقة البدايات الأولى للحركة الوطنية العراقية والتي مهدت فيما بد إلى اندلاع الثورة العراقية الكبرى عام ١٩٢٠. وهنا لابد من التركيز وبنظرة موضوعية تنطوي على الاستجابة الخاصة بسكان لواء العمارة كي نعطي صورة واضحة لمدى تلاحم الفكرة الوطنية التي نشأت خلال تلك الحقبة.

انضم عدد كبير من أبناء عشائر العمارة إلى القوات العثمانية إثناء المعارك التي دارت ضد المحتلين الانكليز وعلى كلتا الجبهتين الغربية (جهة دجلة) والتي كانت بإمرة القائد العثماني حليم بك والشرقية (جهة الاحواز العربية) تحت قيادة محمد فاضل باشا الداغستاني، وقد أبلى مجاهدو لواء العمارة بلاءاً حسناً تلبية لنداء الجهاد الذي أطلقه علماء الدين أواخر عام ١٩١٥، وقد مثلت هذه المشاركة الجهادية الثورة الحقيقية لموقف أفراد عشائر العمارة المعادي لقوات الاحتلال البريطاني بعد دخولها مدينة العمارة في ٣ حزيران ١٩١٥ وقد اتخذ موقف الرفض هذا أشكالاً عدة كان من أبرزها الغارات الليلية والهجمات المفاجئة على نقاط ضعف العدو بهدف شل قدراته العسكرية. (٢٠)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

واجه المحتلون صعوبات جمة في ردع مثل تلك الغارات وبذلوا جهداً كبيراً في التصدي لها واستعانوا من اجل ذلك بلواء الخيالة السريع في القضاء عليها غير انه لم يحول دونها إذ استمرت العشائر القاطنة في اللواء بشن الغارات الواحدة اثر الأخرى على المناطق التي تمركز فيها العدو عسكرياً. (٢١)

ولم تقف محاولات عشائر العمارة عند هذا الحد من المقاومة بل عمدت إلى أتباع أساليب عدة حاولت من خلالها شل قدرات المحتلين وعرقلة سير تقدم قواتهم بشكل أكثر فاعلية وابعد تأثيرا فعمدت إلى مواجهة خطوط مواصلاتها بما في ذلك قطع خطوط التلغراف بين مدينتي العزير وقلعة صالح الأمر الذي أدى إلى زيادة نفقات القوات المحتلة وإرباك واجباتها داخل تلك المنطقة مما دفعها إلى اتخاذ إجراءات وقائية اتسمت بالقسوة ضد العشائر الرافضة للاحتلال. (٢٢)

وإمعاناً في إلحاق أفدح الخسائر بالقوات البريطانية عملت قوات العشائر إلى عرقلة طرق المواصلات البرية والنهرية والتي كانت تمثل الشريان الحيوي لقوات الاحتلال حيث كانت المؤن والأرزاق تصل عن طريق هذين الطريقين، مما حدا بالضباط الانكليز إلى متابعة الأمر بأنفسهم واتخاذ التدابير اللازمة لذلك، لأنها استهدفت بالأساس الوجود البريطاني. (٢٣)

وقد أفزعت هذه الأوضاع قائد الحملة العسكرية على العمارة الفريق طاوزند فكتب في مذكراته ما نصه (كان عرب العمارة حتما يضمرون العداء لنا...). (٢٤)

مما تقدم يتضح لنا الثقل الواضح لعشائر العمارة في مقاومة المحتلين والتصدي لهم واتخاذ أساليب عدة قضت مضاجعهم ودفعت بهم إلى عدم الاستهانة بقوتهم على الرغم من الفرق الشاسع بين تسليح الطرفين ومن اجل تثبيط عزيمة المقاومة الوطنية للاحتلال استخدم الانكليز طرقا اتسمت بالدهاء من خلال إتباع سياسة (فرق تسد) بين شيوخ عشائر اللواء، الأمر الذي جعل البعض منهم ينحاز إلى تنفيذ مصالحة الشخصية المتمثلة بالأرض والنفوذ بين شيوخ العشائر في حين تعرض البعض الأخر إلى شتى أنواع الضغوط فأقدمت الإدارة البريطانية على طرد الشيوخ الرافضين للاحتلال من أراضيهم ومنهم الشيخ محمد الحطاب شيخ عشيرة آل ازيرج عندما منحتهم (أراضي الشطانية). (٢٥) و(العودة) (٢٦) بعد إن كانت هذه الأراضي تابعة إلى عشائر إل عيسى والبزون والمريان منذ العهد العثماني.

وطبقاً للأحكام الجديدة التي أصدرتها الإدارة البريطانية في لواء العمارة وزعت الأراضي المذكورة إلى ثلاثة من رؤساء عشائر آل ازيرج ومنهم الشيخ زيارة المحي والشيخ سلمان المزبان والشيخ شواي الفهد وتأكيداً على موقف الإدارة البريطانية النابع من إنقاذ مصالحها التي اتسمت بالتقلب بين الحين والأخر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

على وفق ارتباطاتها الآنية أقدمت في عام ١٩١٨ على أبعاد الشيخ زيارة المحي وعزت السبب في ذلك بأنه يكمن في سوء أخلاق الشيخ المذكور. (٢٧)

وإعادة تلك الأراضي إلى أصحابها في محاولة منها لكسب ولاءهم، واتبعت السياسة نفسها مع الشيخ فالح الصيهود والشيخ عصمان بن يسر شيخ عشيرة البو محمد، وذلك بإنجاح سياسة الشيخين المذكورين.

أن ما يمكن الخروج به من خلال ما ذكر آنفا وعلى وجه التحديد ما يعرف بالسياسة العشائرية التي طبقتها الإدارة البريطانية في العراق بشكل عام ولواء العمارة بشكل خاص، وإتباع سياستها ألمعروفة بـــ (فرق تسد) هو أن بريطانية عملت على دعم الشيوخ الموالين بكل ما يزيد من قوتهم وسطوتهم، وأضعاف معارضيها من الشيوخ والحط من مكانتهم الاجتماعية بشتى الوسائل والسبل. (٢٩) وواصلت الإدارة البريطانية تطبيق السياسة المذكورة طيلة السنوات التي أعقبت سيطرتهم على العراق، أما الموقف منها فقد كان متشابه إلى حد كبير بين مناطق كافة. (٣٠)

بعد هذا الاستعراض الذي بين بداية الاحتلال المباشر للعراق وموقف العراقيين منه بشكل عام وسكان لواء العمارة بشكل خاص، اتضح أن حركة الجهاد التي أعلنت أواخر عام ١٩١٥، قد هيأت أذهان الشعب العراقي بشرائحه كافة لمقاومة الانكليز في حركة وطنية شملت اغلب مناطق العراق ونجم عنها قيام ثورة عام ١٩٢٠ الوطنية التحررية، وضمن استجابة واحدة، إذ اقترن موقف سكان لواء العمارة الرافض للاحتلال البريطاني مع موقف الآخرين من أفراد عشائر الفرات الأوسط لتكون حالة واحدة من الرفض، أي أن حالة الاستجابة الرافضة للبريطانيين إذ تاطرت بإطار واحد تمثل بالحركة الوطنية العراقية ضد الاحتلال متخذين من الدين الإسلامي القوة المحفزة لهذه الاستجابة إلى الدرجة التي مكنتهم من أن يدركوا خطورة الأمر ويشاركوا العثمانيين في الصراع ضد المحتلين الجدد على الرغم من العلاقات المتوترة التي كانت سائدة بين العراقيين والأتراك، وفي هذا الصدد يقول احمد بك (احد القادة الأتراك) بحضور المجاهدين العراقيين في إحدى معارك الشعيبة ما نصه (أننا لو فتحنا الشعيبة والبصرة يبقى علينا واجب ثان هو فتح العراق وخاصة الفرات أولاً وعشائر شط دجلة (لا شك أن من ضمنها العمارة) ثانياً، لأنهم خونه الأمر الذي حدا بالشيخ بدر الرميض رئيس عشائر بني مالك إلى الرد علية بالقول (انتم الخونة للإسلام وحزبكم ضد العرب لمصداق قولي وانتم بعد هذا أولى بالحرب والقتال ممن نحارب، ولولا فتوى علمائنا لما وجدتمونا في هذه الساحة التي نقاتل فيها). (٣١)

أنما يمكن أن نستنتجه مما تقدم هو أن متغيرات السياسة البريطانية اتجاه عشائر العراق كان ضمن أطار عام مثل مجمل التحديات السياسية التي وجهتها ضد القبائل غير أن عامل الزمن يبدوا قد اثر على

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

طبيعة الاستجابة المنطقية لهم، الأمر الذي جعل طبيعة نتائجها (وفي تفسير فلسفي تاريخي) تبتعد عن الموضوعية التاريخية التي تهدف إلى أظهار الحقائق. وإذا أمعنا النظر في المرحلة الأولى للاحتلال نجد أن القوات البريطانية قد أكملت احتلال لواء العمارة في عام ١٩١٥ في حين أنها أكملت احتلال بغداد ومناطق الفرات الأوسط عام ١٩١٧ ومن ثم استولت على باقي أجزاء العراق في عام ١٩١٨. (٣٢)

ويبدو أن هذا الأمر قد ساعد البريطانيين على أن يرسخوا سياستهم العشائرية في لواء العمارة بالشكل الذي جعلها تختلف عن مناطق العراق الأخرى ومنها مناطق الفرات الأوسط. حيث طبق البريطانيون سياستهم بالمنطقة بكل نجاح مستخدمين في ذلك كل ما عرف عنهم من دهاء وحيلة سياسية بهدف تحقيق أهدافهم المرجوة وقد مثل لواء العمارة حقلاً تجريباً آخر للسياسة البريطانية بعد لواء البصرة إذ كانت الأخيرة حقلاً مدناً (حضري) فيما كانت الأولى تمثل حقلاً عشائرياً (ريفي) واكتسبت بذلك أهمية خاصة للسياسة البريطانية التي وجدت طريقها إلى باقي مناطق العراق العشائرية الأخرى فيما بعد واستمرت في سياستها تلك إلى حين اشتعال ثورة العراق الكبرى عام ١٩٢٠. (٣٣)

ولو لاحظنا المبررات والاعتبارات التي تدخل ضمن أطار الفلسفة الاجتماعية لوجدناها هي نفسها التي جعلت القوى العشائرية تقف بوجه المحتلين البريطانيين سواء كان ذلك خلال حقبة الاحتلال أم الحقبة التي شهدت أحداث ثورة العشرين في العراق. كانت العشائر العراقية تمثل كيانات مستقلة بذاتها خلال العهد العثماني بسبب ضعف السلطة في تلك المناطق(٣٤). في حين اختلف الوضع بالنسبة للبريطانيين إذ عملوا على استحداث سلطة مركزية منافسة لسلطة الشيوخ بعد أن سهل إدخال المواصلات النهرية منذ عام ١٨٥٧ للقوات البريطانية مهمة إخضاع العشائر بالقوة المسلحة عند احتلالهم للعراق ورسم سياستها فيه (٣٥). كما أن القوات البريطانية عندما تقدمت لاحتلال العراق كان ذلك على طريق البصرة - عمارة ثم زحفت باتجاه بغداد متخذة من نهر دجلة الطريق الرئيسي لانجاز مهمتها وظلت هذه المناطق تحت الإدارة البريطانية المباشرة حتى قيام الثورة العراقية إذ وطدت الإدارة حكمها في تلك المناطق وبدأت تطبيق السياسة العشائرية التي تؤمن مصالحها ومؤدى هذه السياسة هو اختيار شيخ واحد من كل منطقة يمنح الأفضلية على غيره من الشيوخ وحصر السلطة بيده وتخفيف الضرائب عنه وقد نتج عن هذه السياسة فقدان البريطانيين ولاء بعض الشيوخ الذين رفضوا أن يفضل احد عليهم. لذا أشار (ايرلند) " أن كثير من الشيوخ الذين أسهموا بالثورة كانت خصوصيتهم موجهة ضد الشيوخ المقربين للبريطانيين أكثر مما كانت موجهة للبريطانيين أنفسهم ". (٣٦)

فضلاً عن ذلك فقد كانت العشائر ذاتها ترفض من حيث المبدأ وجود أية سلطة غريبة عنها بسبب الروح البدوية المتأصلة فيها. (٣٧)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وبذات الدافع أيضاً فقد سعت تلك العشائر إلى امتلاك كميات من الأسلحة التي استحوذ عليها خلال الحرب العالمية الأولى (٣٨). كما أن عشائر العراق كانت تملك خبرة في المواجهة المسلحة إذ جاءت هذه الخبرة نتيجة لما شهدته المنطقة من انتفاضات مسلحة ضد السلطة البريطانية والعثمانية من قبلها. (٣٩)

وهنا لابد من الإجابة على سؤال يطرح نفسه وهو إذا كانت مستوى التحديات البريطانية والتحديات الداخلية العداء بين المستجيبين للسياسة البريطانية من سكان لواء العمارة قبل اندلاع ثورة العشرين موازٍ لمستوى الاستجابة الفعلية لعشائر الفرات الأوسط فما هو سبب اضمحلال الاستجابة الفعلية لأهالي اللواء فيما بعد ؟ والسؤال الثاني الذي سنجيب عنه لاحقا، هل كانت هناك مشاركة فعلية ولو بأدنى صورها لأهالي لواء العمارة في ثورة العشرين، وهل سعت المصادر - وبخاصة البريطانية منها - إلى تحجيمها لأسباب إستراتيجية أمنية، الأمر الذي جعل المصادر الأخرى تنحو النحو ذاته ؟

المبحث الثالث: اندلاع ثورة عام ١٩٢٠ (استجابات متباينة)

بعد استقراء المواقف المتشابهة لسكان منطقة الفرات الأوسط- نقطة الانطلاقة الأولى لثورة العشرين - وسكان لواء العمارة في مقاومتهم للاحتلال البريطاني، وبعد أن لوحظ كيف أن هذا التشابه في الموقف كان بمثابة الاستجابة الموحدة ضد التحديات البريطانية المتمثلة بالاحتلال العسكري للمناطق العراقية، إذ وقف أبناء عشائر الفرات الأوسط لواء العمارة وقفة واحدة عبروا فيها عن موقفهم الديني والوطني بالشكل الذي ينسجم مع تقاليدهم وأعرافهم العربية الأصلية التي ترفض كل أشكال الاحتلال الأجنبي، وفي الوقت ذاته لابد من إيضاح الاستجابات (المقاومة) المتباينة، التي شهدتها مناطق العراق، وما هي الأسباب التي أدت إلى ذلك التباين.

أ- استجابة سكان منطقة الفرات الأوسط:

أن المدة التي سبقت أحداث ثورة عام ١٩٢٠ وبالتحديد بين عامي ١٩١٨-١٩٢٠ شهدت أحداثاً كان لها الدور الكبير في قيام الثورة العراقية حتى شمل أوارها معظم أنحاء العراق. أن من ابرز الأحداث المشار إليها هو إعلان الانتداب البريطاني على العراق في نيسان ١٩٢٠ والذي فرضه مؤتمر سان ريمو (٤٠). وما سبقه من تزييف متعمد لإدارة الشعب العراقي عن طريق الاستفتاء الذي أجرته الإدارة البريطانية في العراق برئاسة ارنولد ولسن عام ١٩١٩ والنتائج التي تمخضت عنه والتي كانت قد البت العراقيين ضد البريطاني. وعدت من أهم أحداث ثورة العشرين وما تمخض عنه من سياسة تعسفية مارستها الإدارة البريطانية بحق سكان العراق. (٤١)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

شملت الثورة معظم مناطق العراق لاسيما منطقة الفرات الأوسط حيث اعتقل ابرز شيوخ المنطقة وهو شعلان أبو الجون شيخ عشيرة الظوالم وعد هروبه من السجن بمثابة الشرارة الأولى للثورة وقد اتخذت الثورة العراقية نمط المقاومة الشعبية المسلحة بوجه المحتل البريطاني كما قام شيوخ عشائر المنطقة بحث رجالهم على مواجهة قوات الاحتلال والتصدي لها من خلال الهجمات المباغتة على طرق المواصلات ومناطق وجود الجيش المحتل وقطع أسلاك التلغراف بهدف شل حركة التموين والإمدادات للقوات البريطانية وقطع الاتصال بين وحدات الجيش وقيادتهم المتقدمة كما استطاع أبناء عشائر الفرات الأوسط من قتل عدد من الضباط البريطانيين الذين أساءوا التصرف مع عشائر المنطقة. (٤٢)

وبما أننا لسنا بصدد الحديث عن دور سكان الفرات الأوسط المعرف من الثورة بقدر ما نهدف إلى أعطاء صورة واضحة تساعدنا في الكشف عن روح المشاركة الفعلية لسكان لواء العمارة محاولين فيها تسليط الضوء على دورهم في ثورة عام ١٩٢٠.

ب - استجابة سكان لواء العمارة:

خلال الاطلاع على المصادر التي تناولت بالتفصيل أحداث الثورة العراقية يلاحظ أنها اتسمت بالبعد النسبي عن النسق الموضوعي الذي من شانه أن يرتقي بالنظرة التحليلية الاستقرائية إلى درجة الكشف عن الحقائق التاريخية بالصورة التي ارتكزت عليها نظرية التحدي والاستجابة.

وهنا نذكر على سبيل المثال لا الحصر ما ذكره حسين جميل بصدد الموضوع والذي كان يعيش في لواء العمارة أثناء الثورة ما نصه (وحتى ثورة العشرين في العراق سمعت بها مجرد سماع فقد كنت عند نشوبها في العمارة ولم يشارك ذلك اللواء في الثورة ولم يقع فيه شيء من أحداثها... وكانت العمارة إلى جانب ذلك في شبه عزلة في ذلك الحين فلم نكن نرى جريدة ولم يكن الراديو قد وصل بعد كما لم اسمع من والدي شيئا عن الثورة). (٤٣)

ويبدو من خلال النص المذكور أن حسين جميل قد ابتعد عن النظرة التحليلية لواقع الإحداث في العراق الأمر الذي جعله يصدر حكماً " خطيراً " كهذا إذ لم يبلغ صاحب النص المذكور في حينها السن الذي يؤهله إلى متابعة الأحداث السياسية فضلا عن معرفته بطبيعة مجتمع لواء العمارة سواء كان ذلك في مركز اللواء أم الأقضية التابعة له.

فبعد اندلاع الثورة عام ١٩٢٠ في مناطق الفرات الأوسط وباقي مناطق العراق الأخرى شارك أهالي اللواء في أحداثها وذلك من خلال تطوع عدد من رجال اللواء في التصدي للقوات البريطانية، إذ ارتحلوا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إلى ميادين الثورة وساهموا بشكل فعلي في أحدثها وكان يقود هؤلاء المتطوعين المدعو (سيد موسى الحسني). ولم تقتصر مشاركة أبناء اللواء عند هذا الحد فحسب بل اتخذت طابعا آخر تمثل بالتبرعات السرية التي أرسلت إلى مناطق الثورة وكان من ابرز من ساهم في هذا العمل التاجر أبو القاسم ألجلبي والحاج نجم الحاج عبد الله البد راوي ولم يكن نصيب لواء العمارة من شهداء الثورة بالعدد القليل. (٤٤)

أن الضعف والسرية التي اتسم بها موقف أهالي لواء العمارة في ثورة العشريين يعود إلى أتباع الإدارة البريطانية لسياسة (فرق تسد) إذ طبقها بنجاح بين شيوخ العشائر المختلفة مستخدمة الأرض كوسيلة مهمة في تطبيق سياستها تلك وعززت من هيبة الشيوخ الموالين لها عن طرق أسلوبين – ما عدا الإسناد الحكومي المباشر – وهما المخصصات المالية وإدخال نظام دعاوي العشائر ويبدو أن الإدارة البريطانية قد اتخذت من العمارة بسبب سبق احتلالها عن بغداد ومناطق الفرات الأوسط – مهد الثورة – حقلاً تجريبياً لسياستها بكونها حقلاً عشائرياً نجحت فيه، إذ مثلت أهمية خاصة للسياسة البريطانية التي وجدت طريقها فيما بعد إلى باقي مناطق العراق العشائرية الأخرى.

فضلاً عما تقدم يمكن أن نعزي محدودية مشاركة أهالي لواء العمارة في ثورة العشرين إلى جملة مبررات وهي:

١. نجاح تطبيق السياسة البريطانية بشان العشائر في لواء وانضمام اغلب الشيوخ إلى جانب السلطات البريطانية بسبب ارتباط مصالحهم الاقتصادية معها.(٤٥) الأمر الذي أدى إلى تلاحم موقف الطرفين معا بأمل الوقف بوجه التهديد المتعاظم لموقعها وامتيازاتها مما جعل تحالفها وثيقاً في هذا الجانب إذ كانت أراضي اللواء تمنح بالإيجار السنوي للشيوخ والذين حازوا حسب تقرير بريطاني صدر عام ١٩٢٠ على أراضي أكثر بكثير عما كان في حيازتهم في أيام العثمانيين كما نالوا حظوة لدى الانكليز في تقدير بدلات الإيجار. (٤٦)
٢. أشارات بعض المصادر إلى أن المشاكل والنزاعات الدائرة بين عشائر اللواء حول الأراضي وتوزيع مياه الري وما شابه ذلك من أمور أخرى، كانت سبباً في انشغال عشائر اللواء، وهو أمر سعت إليه الإدارة البريطانية من خلال التسويات التي طبقتها على أراضي اللواء وهو ما عرف باسم (السياسة العشائرية). (٤٧)
٣. حرصت السلطات البريطانية المحتلة على أن تكون المناطق الإستراتيجية بعيدة عن أي ثورة أو انتفاضة شعبية وبخاصة تلك التي لها خصوصية في التأثير المباشر على الخطوط التموينية كالعمارة والبصرة حيث بذل البريطانيون جهداً كبيراً من اجل تامين هذه الخطوط منذ اللحظة الأولى للاحتلال. (٤٨)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٤. ضعف الاتصال بين سكان لواء العمارة والمراجع الدينية في كل من النجف وكربلاء والكاظمية بسبب البعد الجغرافي بين اللواء ومركز المدن المقدسة والذي شكل جانباً مهماً في ضعف المشاركة الشعبية للأهالي في الثورة.

٥. خشية البريطانيين من أن تكون العمارة والمناطق القريبة من الاحواز الغربية ضمن مجال الثورة الأمر الذي قد يؤدي إلى تعاطف العشائر الموجودة في تلك المنطقة من سكان اللواء فيما إذا انتشرت الثورة فيه. (٤٩)

٦. كشف السلطات البريطانية لبعض المحاولات التي قام بها بعض شيوخ العمارة لاسيما الشيخ علي الشياع شيخ السواعد (الكورجة) الذي حاول من خلالها الوقف إلى جانب الثورة في منطقة الفرات الأوسط والتي تمثلت بالرسائل الخطية التي كان طرفها الشيخ المذكور والشيخ عبد الواحد الحاج سكر احد اكبر شيوخ آل فتلة والتي استخدمته كوسيلة لترويج الثورة في لواء العمارة. إذ تضمنت هذه عبارات تستنهض همم رجال اللواء وشيوخها. (٥٠)

ويلاحظ أجمالا آن ضعف مشاركة أهالي لواء العمارة جاء نتيجة أسباب عدة اشتملت على مجموعة من المنطلقات، أهمها السياسية والاقتصادية والاستخباراتية الخاصة بالجانب البريطاني.

الخاتمة:

لوحظ من خلال المعطيات العلمية للدراسة التي تمحورت مقاييسها الموضوعية على موقف أهالي لواء العمارة من ثورة عام ١٩٢٠ بطريقة المقاومة النسبية التي اعتمدها نظرية التحدي والاستجابة لتوينبي إن ضعف مشاركة أهالي لواء العمارة في الثورة جاء نتيجة أسباب عدة اشتملت على مجموعة من المنطلقات أهمها السياسية والاقتصادية والاستخباراتية الخاصة بالجانب البريطاني.

كان لنجاح السياسة البريطانية في العراق وبخاصة في لواء العمارة على اعتبار أن الأخير كان بمثابة الحقل التجريبي للنموذج الريفي في العراق الأثر الواضح والكبير في ضعف واضمحلال مشاركة اللواء في الثورة.

هذا يعني أجمالاً أن الظروف التي مر بها اللواء هي غيرها التي مرت بها باقي ألوية العراق لاسيما تلك التي تقع في منطقة الفرات الأوسط فطبيعة لواء العمارة الجغرافية والبيئية وبعد المسافة عن مراكز العراق الدينية والثقافية قد آل إلى ضعف المشاركة إلى درجة التي راحت بها المصادر الأجنبية وبعض العربية منها أن تنحو ذاته في وصف اندراس دور أهالي العمارة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تمحورت إسهامات أهالي لواء العمارة في الثورة في عدة جهات الأول منها تمثل بتطويع بعض أهالي اللواء ومغادرتهم اللواء إلى ميادين الثورة أما الثاني فقد شمل التبرعات التي ساهم بها بعض الميسورين أهالي اللواء لتعطي حافزاً معنوياً ومادياً للقائمين بها.

قائمة المصادر والهوامش

(١) F.O/371/248/X/M/071155,Letter,From Nixon to Simla,Basra,june1915,P.251

(٢) أن السياسة البريطانية أشبه بالنابض الحلزوني، فهي اختلفت بالشكل لكن جوهرها واحد.

(٣) مؤرخ وفيلسوف بريطاني توفي سنة ١٩٧٥.

(٤) يقصد بالأفقي الامتداد المكاني للواقعة التاريخية أما العمودي فيقصد به الامتداد الزمني للواقعة التاريخية بنظر همتلون كب، علم التاريخ كتب دائرة المعارف الإسلامية رقم (٤) بيروت، ١٩٨٧ ص ٧٢، احمد محمد صبحي،في فلسفة التاريخ، الإسكندرية، بلا، ص٢٦٦.

(٥) المصدر نفسه ص٢٧.

(٦) ستيفن همسلي لونكريك، العراق الحديث من سنة١٩٠٠ إلى سنة١٩٥٠ ترجمة سليم طه التكريتي، ج١،بغداد، ١٩٨٨ ص ١٩٩- ص ١٠٦.

(٧) احمد محمد صبحي، المصدر السابق، ص ١٦٩.

(٨) تقرير سري لدائرة الاستخبارات البريطانية عن العشائر والسياسة، ترجمة عبد الجليل الطاهر، بغداد،١٩٨٥ ص ٥.

(٩) احمد محمد صبحي، المصدر السابق، ص٢٦٩.

(١٠) عبد الجليل الطاهر، العشائر العراقية، ج٣، بغداد، ١٩٥٥، ص ٢٦٦- ٢٧٠.

(١١) وهذا يعني أن (توينبي) قد حدد الاستجابة بنوعين الأول طلق علية الاستجابة الناجحة، وهي التي تكون نتائجها ايجابية على المتلقي بشرط أن يكون المستجيب للفعل التاريخي على وعي وبصيرة من متحديه لكي تكون استجابة أعلى قوة وأسمى هدف من المتحدي أما الثاني فقد أطلق عليه (الاستجابة السلبية) غير الناجحة ويكون تفسيرها على العكس من الأول ينظر احمد محمد صبحي المصدر السابق، ص ٢٦٦.

(١٢) علي البازركان، الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية، بغداد، ١٩٥٤، ص١٥، عبد العزيز القصاب، من ذكرياتي، بيروت، ١٩٦٢، ص ١٩٨-١٩٩. فريق مزهر آل فرعون، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية،بغداد، ١٩٥٢، ص٤٥٠.

(١٣) عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، بغداد، ١٩٨٢، ص ١٢٨ وحول هذه الصورة الفلسفية ينظر أيضاً، احمد محمد صبحي، المصدر السابق، ص ٢٧٠.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(١٤) ارنولد.ج. توينبي، مختصر دراسة التاريخ، ترجمة فؤاد محمد شبل، ج١، القاهرة، ١٩٦٦، ص ٤٧٠-٤٧١.

(١٥) للتفاصيل حول هذا الموضوع ينظر:
W.C.Sandes, In Kut and Captivity with the Sixth Division, London 1919, P21

(١٦) جريدة صدى الإسلام، العدد ٤٤، بغداد، ذي القعدة ١٣٣٣ هـ.

(١٧) جعفر محبوبة، ماضي النجف وحاضره، ج١، بغداد ١٣٥٣ هـ. ص ٢٤٦.

(١٨) للمزيد من التفاصيل حول حركة الجهاد في العراق، حسن العلوي الشيعة والدولة القومية في العراق ١٩١٤-١٩٩٠،قم بلا ص ٦٠-٧٤.

(١٩) تقع هذه المدينة في القرنة وتحديداً في الجنوب الغربي منها ينظر الخارطة الموجودة في كتاب حميد احمد حمدان التميمي البصرة في عهد الاحتلال البريطاني، بغداد، ١٩٧٩، ص٢١٠.

(٢٠) F.J.Moperly official history the campaign in Mesopotamia (1919-1919) history of the Great War based on official document his majesty stationary office London1923-1927.Vol, 1, P.P.263-273

(٢١) عبد الله الفياض، الثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠، بغداد، ١٩٦٣، ص١٦٤ ، طه الهاشمي حرب العراق، ج١، بغداد، ١٩٢٨، ص١٦٦.

(٢٢) تشارلس طاوزند، مذكرات الفريق طاوزيد، ترجمة الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٩٨٦، ص١١٣-١١٤.

(٢٣) فلانين، الحاج ريكان، عرب الاهوار، ترجمة جميل سعيد وإبراهيم شريف، بغداد، ١٩٦٦، ص ١١٨-١٢١.

(٢٤) تشارلس طاوزند، المصدر السابق، ص١١٤.

(٢٥) تقع الشطانية في ناحية السلام التابعة إلى محافظة ميسان.

(٢٦) تقع العودة في قضاء الميمونة التابعة إلى محافظة ميسان.

(٢٧) دأبت السلطة المحتلة إن تنعت الشيوخ المقاومين للاحتلال بهذا النعت.

(٢٨) Report of administration for 1918 of division and district of the occupied territories in Mesopotamia Baghdad 1918 ,Ool,1,P.315

(٢٩)Administration Report amara Division 1920.

(٣٠) نقلاً عن وميض جمال عمر نظمي، ثورة العشرين الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية الاستقلالية في العراق، ط١، بغداد، ١٩٨٥، هامش ص٢٨٣.

(٣١) للمزيد من المعلومات عن موقف الشعب العراقي تجاه التحديات البريطانية ينظر المصادر التالية:

(A) Philip.W.Ireland Iraq: study in political development

(B) عبد الله الفياض،المصدر السابق.

Urgent

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(C) وميض جمال عمر نظمي، المصدر السابق.

(٣٢) للتفاصيل ينظر زكي صالح،مقدمة في مدرسة العراق المعاصر، بغداد ١٩٥٣، ص ١٠-١٢

(٣٣)See (a) Report of the A.P.O Amara northern district for Month December 1919, P.560.

(b) Report on the municipality of amara for the month December 1919 p58 .

(c) F.O/371/2770/from Nixon to General Chief June 1915 P.2 .

(٣٤) جعفر خياط، صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة،ج١،بيروت،١٩٧١، ص٣٩٩-٣٤٠.

(٣٥) عبد العزيز سلمان نوار، المصالح البريطانية في انهار العراق (١٦٠٠-١٩١٤)، القاهرة، ١٩٦٨ ص٢٧. لوريمر، دليل الخليج القسم التاريخي، ج٤، ترجمة مكتب أمير دولة قطر بل ص ١٩٦٢.

(٣٦) فيليب ويلارد ايرلند، العراق دراسة في تطوير السياسي، ترجمة جعفر خياط، بيروت، ١٩٤٩، ص ١٩١ ، تقرير سري لدائرة الاستخبارات البريطانية عن العشائر والسياسة المصدر السابق ص ٩٨.

(٣٧) علي الوردي، لمحات اجتماعية عن تاريخ العراق الحديث، ج٥، بغداد، ١٩٧١، ص١٤.

(٣٨) المصدر نفسه، ح٥، ص ٣٤٣.

(٣٩) كمال مظهر احمد، ثورة العشرين في الاستشراف السوفيتي، بغداد، ١٩٧٧، ص٤٨، عبد الرزاق الحسني، موجز تاريخ البلديات العراقية، ط١، بغداد، ١٩٣٠، ص ١١٢.

(٤٠) لاشك أن بين أهم الأحداث التي شهدتها الأعوام المذكورة هي ثورة النجف،١٩١٨ ينظر في هذا الصدد عبد الرزاق الحسني، ثورة العراق الكبرى، ط٦، بغداد،١٩٩٢

(٤١) Emith E,P. world history, New york 1946,p.632.

(٤٢) للتفاصيل حول أساليب الثورة لمواجهة القوات المحتلة في ميادين الثورة، ينظر عبد الرزاق الحسني، ثورة العراق الكبرى المصدر السابق.

(٤٣) حسين جميل، العراق شهادة سياسية، ١٩٠٨-١٩٣٠، لندن، ١٩٨٧، ص٢٦.

(٤٤) مقابلة مع الأستاذ جبار عبد الله الجويبراوي، وهو من مؤرخي العمارة، بتاريخ ٢٦/شباط/٢٠٠٢.

(٤٥) زكي صالح، المصدر السابق ص١٥.

(٤٦) مقابلة مع المحامي خالد عبد الرحيم السوداني، بتاريخ ٢٠٠٢/٢/٢٦.

(٤٧) عماد احمد ألجواهري، تاريخ مشكلة الأراضي في العراق، ١٩١٤-١٩٣٢، بغداد، ١٩٨٧،ص١٣٥.

(48) India office Library and Record, report of the A.P.O. Amarah northern district for the month of December p.56 . محفوظة في مركز دراسات الخليج العربي

(٤٩) Moose matti the Iraq –Iran war historical analyses p. 89.

بحث منشور في كتاب الأبعاد الاسترتيجية للحرب العراقية الإيرانية البصرة ١٩٨٨.

(٥٠) مقابلة مع الشيخ مهاجر علي الشياع شيخ عشيرة السواعد (الكورجة)، بتاريخ ٢١/كانون الثاني/٢٠٠١.

Urgent

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com